بيد أن هذا القول الاخير لو اخذناه على علاته فسوف يترتب عليه صعوبة التقاء الفكر او على الأصح صعوبة تقارب الأفكار في المجتمعات والثقافات المختلفة فضلا من توحيدها. وليس من شك من أن اللغة الواحدة توحد بين الناس الذين يتكلموها والذين يؤلفون جماعة كلامية واحدة، ومع ذلك فان اللغة في عمومها تعتبر من أهم العوامل التي تساعد على التفرقة وعلى الانقسامات داخل الجنس البشري في عمومه، سواء بين الأفراد أو الأجناس والسلالات أو الثقافات، ويرجع ذلك الى تنوع اللغات واختلافها اختلافا هائلا وميل كل جماعة بطبيعة الحال للتمسك بلغتها والدفاع عنها وعن كيانها ووجودها، وبذلك فان العامل الذي كان يراد منه أو يفترض فيه أن يساعد على تجانس الثقافة هو نفسه مصدرا لأعمق الاختلافات والصراعات وسببا من اهم أسباب التفرقة بين الناس [1]. والقضاء على التماسك والتناسق في المجتمع الإنساني ككل. فمع اللغة تسهل الاتصال داخل الجماعة الواحدة فانها تزيد من وضوح الاختلافات الثقافية بين الجماعات المختلفة وبالتالي تساعد عل ارتفاع الحواجز بينها. ومع ان هناك اختلافات واضحة داخل الأنواع الحية الأخرى فان حدتها – كما يقول كيسلر– لا تصل الى نظرا لعدم وجود الحواجز اللغوية التي تؤدي الى التفرقة عل كل المستويات: الأمم والقبائل والجماعات الإقليمية، بل والطبقات المختلفة والمهن والتخصصات وما الى ذلك حتى داخل المجتمع الواحد(انظر في ذلك كتاب ارثر كيسلر –العفريت والالة– الذي سبقت الإشارة اليه.

فكان تعدد اللغات وتنوعها من اهم أسباب ما تعانيه الانسان الان وفي كل وقت مضى من صراع ونزاع وتفرق، خاصة وأن كل جماعة –كما ذكرنا– تميل الى التمسك بلغتها باعتبارها رمزا لوجودها. وواضح ان اللغات الكبر تميل الى ان تنتشر وتوسع

---

[1] Beattie, op. a. pp. 68-9

من دائرة نفوذها على حساب اللغات (الصغرى)[٢]. وان كانت هناك جهود ضخمة للمحافظة على لغات الأقليات بل والعمل على تقويتها، أي أن انتشار اللغات الكبرى يقابل بردود فعل عنيفة من اللغات الصغرى؛ لأن أي محاولة لفرض لغة بدلا من أخرى معناه تهديد كيان الجماعة التي تتكلم تلك اللغة، وفي هذه الحالة لا تعتبر اللغة مجرد وسيلة للاتصال وانما تصبح رمزا او شعارا يرتبط بمشكلة الحرية الشخصية، ويبدو صراع اللغات في كل المجتمعات الإنسانية حتى المتقدمة منها، وكثيرا ما يترتب عليه مشاكل اجتماعية وسياسية خطيرة قد تؤدي بتماسك المجتمع أو على الأقل تهدد ذلك التماسك حين يتخذ ذلك الصراع شكل الصدام العنيف على ما يحدث مثلا في بلجيكا في الصراع العنيف الذي يثور من حين لآخر بين المتكلمين بالفرنسية والمتكلمين بالفلمنكية أو الصراع بين الفرنسية والإنكليزية في كندا او بين الماهارتي Maharati والجوجراتي Gujurati في الهند ، وهكذا نرى أن (الإنسان العجيب) له قدرة فذة على أن يحول كل المزايا والنعم الى لعنات ومساوئ ونقم تهدد حياته هو نفسه ووجوده في المحل الأول.

---

[٢] على أن هناك الآن ما يقرب من الفي لغة في العالم فان الغالبية العظمى من هذه اللغات تسود في جماعات قليلة العدد وقد لا يتعدى عدد من يتكلمونها بضعة عشرات الآلاف كما هو الحال في كثير من (اللغات)الافريقية مثلا، او كما هو الحال في غينيا الجديدة حيث يصل السكان الى مليوني نسمة يتكلمون حوالي (٧٥٠) لغة مختلفة على ما تقول عالمة الانثروبولوجيا الأمريكية الشهيرة مارجرت ميد ، وعدد قليل جدا من لغات العالم يتكلمه اكثر من خمسين ملونا من الناس وربما لا يزيد عدد هذه اللغات الى اثنتي عشرة لغة (فيما عدى الصينية) هي على الترتيب ؛ الانجليزية ٢٦٥ مليونا والاندو اوربية ١٨٥ والروسية ١٨٠ والاسبانية ١٤٥ ١١ والألمانية ١٠٠ واليابابة (٩٥) والعربية (٩٠) والبنغالية ٨٥ والبرتغالية ٨٥ والفرنسية ٦٥ والملاوية ٦٠ والإيطالية ٥٥ راجع في ذلك Potler; op. cit. p.29.